

## تل البديري في حوض الخابور

بيتر بفيلسنر

المدير الميداني لبعثة التنقيب الألمانية في تل البديري

ضمن إطار الحملة الدولية لانتقاذ التلال الأثرية المههددة بغمر مياه سد الخابور في محافظة الحسكة تقوم بعثة أثرية باسم جامعة برلين الغربية بالتنقيب في تل البديري ، برئاسة البروفيسور هارتموت كونه وبإشراف المؤلف على التنقيب الميداني .

استمد بحيرة السد المرتقب مسافة ٣٠ كم ، وسيقوم السد فوق تل الطيارة ، وستنتهي حدود البحيرة المرتقبة قبل مدينة الحسكة بمسافة قليلة . أما تل البديري فإنه يقع على مبعده ١٥ كم الى الجنوب من الحسكة ، وهو يقع على الضفة الشرقية لنهر الخابور .

تبين لنا الصور الجوية أن التل يقع داخل الحوض الخصيب لوادي الخابور الذي يصل عرضه في هذه البقعة الى بضعة كيلو مترات . تبلغ أبعاد التل ٣٠٠ × ٢٥٠ م ، وهو بذلك من التلال الكبيرة جداً بالقياس الى التلال المنتشرة على جانبي الخابور .

ثمة هدفان نسعى الى تحقيقهما من جراء التنقيب في هذا التل : الأول هو دراسة تعاقب الطبقات الأثرية لعصر البرونز دراسة كامل تمكنا من تحديد التعاقب الزمني لتطور الفخار والعمارة وخصائص العمران . وهذا الهدف تحقق في السبر الذي اجريناه في المنحدر الجنوبي للتل . أما الهدف الثاني فإنه يرمي الى كشف مساحة واسعة من بقايا المدينة التي تعود الى مرحلة معينة من مراحل عصر البرونز ، وذلك للتعرف على مظهر وتكوين حي من أحياء مدينة من عصر معين . ولقد بدأنا بتحقيق هذا الهدف في القمة الشمالية للتل . وبوجه عام فإن القصد من تلك الأعمال هو الخروج باستنتاجات حول وظيفة مدينة من عصر البرونز ونمط معيشتها

وتركيبتها الاجتماعية ، فضلاً عن طبيعة البيئة التي تحتضن مثل تلك المدينة .  
وللوصول الى هذا الهدف لابد من تحليل التركيب العمراني ومعرفة عدد السكان ،  
ونمط بيوتهم وأنواع أبنائها وتجهيزاتها ، وتحليل بقايا غذائهم ، ودراسة عظام  
الحيوانات وغير ذلك من أمور .

سأعرض فيما يلي الأجوبة التي توصلنا اليها حتى الآن على جميع تلك  
الأسئلة ، لذلك سألخص نتائج التنقيب في مختلف أرجاء التل في خمس  
مجالات ، وسأعرض في كل مجال الأدلة الأثرية وفق تعاقبها الزمني .

دعونا نتبع المراحل الزمنية التي استقر الناس خلالها في هذا الموقع . بينت  
التنقيبات أن أقدم دليل مادي على استقرار الناس في هذا المكان يرقى الى الألف  
الخامس قبل الميلاد ، وذلك استناداً الى الكسر الفخارية التي التقطناها من سطح  
التل والتي تعود الى العصر النحاسي وهي من نوع فخار تل حلف المشهور . غير أننا  
لم نتوصل في تنقيباتنا الى بقايا المدينة التي تعود الى ذلك العصر ، وذلك لأن أثارها  
قابعة تحت بقايا المدينة التي تعود الى العصور اللاحقة . لكن أقدم بقايا عمرانية  
كشفت عنها تنقيباتنا تعود الى عصر اوروك أو أواخر الألف الرابع قبل الميلاد . ولقد  
ظهرت أثارها في سبر المنحدر الجنوبي وفي سبر اختباري آخر في حقل القطن الذي  
يبعد قرابة ٥٠ م عن أسفل التل .

أظهر السبر في المنحدر الجنوبي أدلة على وجود استقرار بشري طويل الأمد  
خلال عصر البرونز ، وتشتمل بقايا ذلك الاستقرار على ٢٥ طبقة أثرية تتعاقب من  
بداية عصر البرونز القديم (النصف الأول للألف الثالث قبل الميلاد) حتى نهاية عصر  
البرونز الحديث (النصف الثاني للألف الثاني قبل الميلاد) .

تعود الطبقات ٢٥ الى ٧ الى عصر البرونز القديم وهي تمتد من عصر  
السلالات الأولى (٢٨٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م) حتى العصر الأكادي (٢٣٥٠ - ٢٢٠٠  
ق.م) ، وتبلغ سماكة تلك الطبقات عشرة أمتار . بعد تلك الطبقات نلاحظ غياب  
أي أثر يتعلق بالفترة الزمنية اللاحقة وهي فترة البرونز الوسيط ، حيث يبدو بأن الموقع  
كان مهجوراً تماماً . غير أن الاستقرار البشري يعود الى الموقع في عصر البرونز  
الحديث أي بعد منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وهذا هو عصر ازدهار الدولة  
الحورية - الميتانية في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد . ولقد ظهرت  
آثار هذه الفترة محصورة بين الطبقة السادسة والطبقة الثالثة في سبر المنحدر الجنوبي

للتل . كذلك فقد أظهرت التنقيبات في المنحدر الشمالي وفي السبر الصغير في وسط قمة التل التعاقب الزمني للطبقات الأثرية نفسها مع نفس الانقطاع لمرحلة البرونز الوسيط .

ثمة دليل غير مباشر يبين أن الاستقرار البشري لم يتوقف بعد نهاية العصر الحوري - الميثاني . فالحفرة التي ظهرت في الطبقة الثانية في سبر المنحدر الجنوبي احتوت على رقم مسمارية وتؤكد على أن الاستقرار البشري في هذا الموقع كان واسعاً خلال العصر الأشوري الوسيط (القرن الثاني عشر قبل الميلاد) . غير أن الاستقرار البشري في موقع البديري يتوقف نهائياً بعد ذلك التاريخ .

سأعرض في المجال الثاني لحجم الموقع وأبعاده . لانتوفر لدينا أدلة الآن حول حجم القرية أو البلدة التي نشأت في موقع تل البديري خلال عصر اوروك (الألف الرابع) ، ويبدو أنها كانت السلف المباشر للبلدة التي نمت خلال عصر البرونز القديم (النصف الأول للألف الثالث) . ومن المحتمل أنها كانت مجرد قرية صغيرة لم تخرج عن نطاق البلدة التي نشأت فوق انقاضها فيما بعد . غير انه من المحتمل أن الجزء المكتشف من قرية عصر اوروك (ظهور فرن لصنع الفخار) هو القسم الواقع خارج حدود القرية نفسها .

ثمة نمو نلمسه في حجم البلدة خلال عصر البرونز القديم (الألف الثالث) ، فالبلدة أصبحت مطوقة بسور ضخمة ومعزز بجدار منزلق في وجهه الخارجي . يظهر السور حالياً حول أسفل التل ، ولقد كشفنا عن مسافة ١٧ متراً من طوله في المنطقة الجنوبية من التل ، وما من شك بأن هذا السور كان يحيط بالبلدة من جميع جهاتها . ومع بناء هذا السور ثبتت حدود البلدة المحصورة في داخله ، ويبدو أن البلدة لم تخرج عن نطاق السور بفعل التوسع طيلة عصر البرونز القديم . وتدل البقايا المعمارية المكتشفة في المنحدر الجنوبي وفي القمة الشمالية للتل أن بلدة عصر البرونز القديم تغطي جميع أرجاء التل الحالي . تبلغ مساحة التل أربعة هكتارات ونصف ، وإذا أضفنا إلى هذا الرقم الأجزاء السفلية التي جرفها نهر الخابور خلال فيضاناته عبر العصور فإننا نحصل على مساحة تتراوح بين خمسة وستة هكتارات ، وبذلك يكون تل بديري ثاني أكبر تل من عصر البرونز القديم في حوض الخابور الأوسط بعد تل الميلبية المقابل له .

يقع تل البديري داخل شبكة منتظمة من المستوطنات على جانبي الخابور ،  
الكبيرة يتراوح حجمها بين ٣ و ٥ هكتار، والمتوسطة بحجم هكتارين، والصغيرة بحجم  
هكتار واحد، وجميعها تعود الى عصر البرونز القديم .

تمتد البلدة التي تعود الى عصر البرونز الحديث (الألف الثاني قبل الميلاد)  
فوق القمة وفوق جزء من منحدر التل ، وترينا الصورة الجوية كيف أن عمائر عصر  
البرونز الحديث قد ارتكزت على أساسات بيوت وعمائر عصر البرونز القديم .  
وتشغل البلدة الجديدة جميع أرجاء التل الوسطى والجنوبية . أما القمة الشمالية فإن  
جزءاً منها فقط كان تابعاً لبلدة العصر الحوري الميثاني ، ومن المحتمل أن تكون  
بقية أرجاء التل قد ظلت مهجورة خلال ذلك العصر ، حيث لم تظهر هناك الا آثار  
العصر البرونزي الحديث .

لانملك أدلة الآن على مدى امتداد البلدة في العصر الآشوري الوسيط ،  
فعلى الرغم من أنه نستطيع أن نتكهن بأن البلدة احتلت جزءاً كبيراً من أرجاء التل ،  
لكن من المحتمل أن تكون أجزاء منها قد ذرتهما الرياح وجرفت مياه الأمطار لأن  
بقاياها موجودة تحت السطح الحالي للتل ، أي أن آثارها تشكل الطبقة الأولى من  
طبقات التل الخمس وعشرين .

يتعلق المجال الثالث من موضوعنا بالطابع العمراني والخصائص المعمارية .  
أن الأثر المعماري الوحيد من عصر اوروك هو على هيئة فرن بيضوي الشكل طوله  
١٨٠ م ، وهو يصلح لأن يكون بيتاً للنار ومكاناً للشبي في آن واحد ، والفرن مصنوع  
من قشرة طينية رقيقة مصفحة في الداخل بطبقة من الآجر الناري . ولقد عثرنا على  
فرن ثان بالقرب من الأول ، لعل الأمر يتعلق بوجود ورشة صغيرة لصنع الفخار ، وهذا  
دليل على وجود حرفة مهنية متخصصة ومرتبطة بوجود قرية أو بلدة مجاورة .

أما أكبر أثر معماري ظهر في طبقات عصر البرونز القديم فهو السور المشيد  
من اللبن وسماكته ٢٢٠ م ويتقدمه جدار منزلق من الطين المدكوك . يخترق السور  
باب مصفح بالواح حجرية مسطحة ، وقد تهدم الجانب الأيسر منه . ويعود تاريخ  
هذا السور الذي ظهر في الطبقة ٢٥ من طبقات التل الى عصر السلالات الأولى  
(النصف الأول للألف الثالث قبل الميلاد) ، وهو يزودنا بإقدام مثال على استخدام  
الألواح الحجرية المسطحة في تصفيح الوجوه الخارجية لجسم البوابة ، كما هو  
الحال في بوابة ايبلا / تل مردوخ ، والتي اقيمت بعدها بحوالي ١٠٠٠ عام ، كما أن

الجدار المنزلق الذي يلتصق بالوجه الخارجي للسور هو الوحيد المعروف من نوعه حتى الآن بالقياس الى ذلك العصر والذي يعود لنهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، لذلك فإن التاريخ بناء هذه الموقع أهمية كبيرة .

فيما يتعلق بالبقايا المعمارية داخل السور فإن تنقيباتنا لم تكشف حتى الآن إلا عن آثار المراحل الأولى من عصر البرونز القديم (الطبقات ٧ ، ٨ ، ٩) وهي تعود الى أواخر عصر السلالات الأولى والى العصر الأكادي، أي بين ٢٤٠٠ و ٢٣٠٠ ق.م .

تتألف البقايا المعمارية تلك من بيوت متواضعة، جدرانها مشيدة من ألواح اللبن المستطيلة . ومن المحتمل أن البيوت كانت مؤلفة من طابق واحد ولها سقف مستو مصنوع من الجذوع الخشبية والحصر والتراب . الغرف صغيرة الحجم (٢ × ٢ م) أو (٢ × ٣ م) أو (٣ × ٣ م) . أرضية الغرف والأجزاء السفلية للجدران مطلية بالكلس الأبيض . وهذا الطلاء الكلسي يغطي المقاعد والمصاطب الحجرية المشيدة داخل الغرف .

إن البيت الصغير الذي ظهر في الطبقة الثامنة في سبر المنحدر الجنوبي يزودنا بفكرة واضحة عن التصميم الهندسي الأساسي للبيوت في ذلك العصر . ثمة دهليز يفضي الى حجرة متوسطة (٢ × ٣.٥ م) وهي بمثابة موزع للوصول الى المطبخ والى الحجيرات التي ترتصف على جوانب تلك الغرفة . وكانت الغرفة المتوسطة تستخدم للاستقبال وللعود في آن واحد ، فثمة مصطبة (مقعد) تكتنف جدران الغرف الثلاثة في نصفها الخلفي ، وفي وسط أرضية ذلك النصف الخلفي يوجد موقد للنار .

في أغلب الحالات تلتصق البيوت بعضها مع بعض، وثمره وحدات معمارية يمكن اعتبارها باحات سماوية تابعة للبيوت . أما البيوت التي ظهرت في القمة الشمالية لتتل فإنها تعود الى المرحلتين الثانية والثالثة من عصر السلالات الأولى ، أي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، ولقد تبين أن أزقة منكسرة كانت تربط بين البيوت المختلفة . وبوجه عام تبين أن تل البديري يحوي داخل أسواره قرية أو بلدة تعج بالمنازل الصغيرة والأزقة الضيقة . بيد انه لم تكشف تنقيباتنا حتى الآن عن أي بناء كبير له صفة اعتبارية أو متميزة .

تتمتع البلدة في العصر الحوري الميثاني بطابع مختلف ، فالجدران الرقيقة والغرف الصغيرة للبيوت لم يعد لها وجود . ففي القمة الشمالية للتل ظهرت جملة معمارية داخل مساحة طولها ٤٠ م وعرضها ٣٠ م . وتتألف تلك الجملة المعمارية من بناء قائم فوق سطح من اللبن . ويبدو أن هذا السطح قد تم في أعقاب تسوية انقراض العصر السابق . يتصل بالبناء في الشمال ساحة سماوية تضيق تدريجياً نحو الشرق وتنتهي على هيئة طريق أوزقاق . ويصل المرء عبر تلك الساحة الى بناء ثان وفيه باب يفضي الى حوش (باحة) داخلية وتحتضن منزلاً سميك الجدران . ويبدو أن ثمة منزل ثالث يقع الى الجنوب من تلك الساحة ، ومن دلائل ذلك المنزل هو جدار طويل ، كما أن الشارع ينكسر نحو الشمال ثم نحو الجنوب . يتألف البناء من عدد من الغرف يلج المرء اليها عبر دهليز أمامي ينكسر بزواوية قائمة ، ويفضي مباشرة الى غرفتين وراء بعضهما البعض ، وهما تتمتعان بجدران سمكية ومطلية مع الأرضية بالكلس الأبيض . تلي الغرفتين المذكورتين صالة طويلة لكن الوصول اليها لا يتم الا عبر ممر يقع الى الجنوب منها ، وفي أحد زواياها توجد مصطبة .

لعل أهم عنصر معماري في هذا البناء هو الغرفة المستديرة التي تتقدم دهليز المدخل . تقوم هذه الغرفة على أساس ضخم من الحجارة ، ويعتبر هذا النوع من الغرف الوحيدة من نوعها حتى الآن في عمارة عصر البرونز الحديث . ولعل هذه الغرفة المستديرة كانت مستودعا (صومعة) ، ولا بد أنها كانت مغطاة بقبة . لانستطيع تحديد وظيفة هذا البناء تحديداً أكيداً ، ولعله كان منزلاً كبيراً يتمتع بأهمية اعتبارية ، فثمة جزء من رقيم مسماري ظهر في أحد الغرف ، وضخامة الأساس الذي شيدت فوقه الغرفة المستديرة يدلان على المكانة الاجتماعية والاقتصادية الرفيعة لصاحب المنزل . ولعل البنائين اللذين كشفنا عن أجزاء منهما هما من النوع الموصوف أنفاً .

ظهر في الطبقة السادسة من سبر المنحدر الجنوبي آثار بناء مستدير مشابه لبناء الموصوف أنفاً ، غير أنه أصغر حجماً بكثير من حجم البناء الأول حيث أن قطره لا يتجاوز المترين ، لكن القبة التي تعلو هذه الغرفة ماتزال شاخصة بكاملها . أن الغرفة لا تتمتع بأي مدخل في جوانبها لكن ثمة فتحة مستديرة في وسط القبة . ولقد عثرنا على كميات كبيرة من المواد المتفحمة بداخلها . ولا بد أن تفيدينا نتائج التحليل المخبري لتلك المواد في تحديد وظيفة هذه القبة . تؤكد الكسر الفخارية الملتقطة

في أرجاء ذلك البناء أن القبة تعود الى العصر الحوري الميثاني (القرن ١٥ - ١٣ ق.م) . ويمكن مقارنة تلك الصومعة المستديرة مع القباب الحالية المنتشرة في محافظتي حلب وحماه ، ولعل قباب حماه وحلب استمرار لتراث عميق الجذور في التاريخ .

تطل الغرفة المستديرة (الصومعة) الثانية على شارع عريض يصعد من السهل المحيط بالتل الى قمة التل نفسه ، ويقع على مسار البلدة التي تعود الى عصر البرونز القديم ، وهذا يعني أن هذا الشارع لم يتغير موقعه منذ عصر البرونز القديم وظل مستخدماً حتى العصر الحوري الميثاني .

إن التغييرات المعمارية والعمرانية في المنطقة المحاذية لهذا الشارع خلال الفترة اللاحقة تزودنا بفكرة حية عن التطور العمراني لبلدة من عصور البرونز . بما أن الشارع الذي ينحدر بميل شديد ، كان على ما يبدو معرضاً باستمرار لحت الرياح وجرف السيول والأمطار فقد عمد الناس آنذاك على بناء جدار حماية يخترق الشارع وفيه فتحات لتصريف المياه المنحدرة . وفي فترة لاحقة وجد الناس من الضروري بناء جدار ثان الى الأسفل من الجدار الأول . بعد ذلك نشأ بيت معلق على المنحدر في مكان الصومعة انفة الذكر، وذلك على الجانب الشرقي من الشارع ، وبذلك لم يبق من الشارع الا زقاق ضيق محصور بين الجدار الخارجي للبيت المذكور من جهة، وجدار الحماية من جهة ثانية . ونتيجة لذلك تراكمت كميات هائلة من الردميات أمام جداري الحماية مما جعل من الضروري زيادة ارتفاع الجدار الأول وتجديده . لكن سرعان ما تراكمت الردميات التي تجرفها السيول فوق الزيادة الجديدة ، مما جعل من الضروري بناء جدار حماية جديد الى الشمال من الأول . ويحتوي هذا الجدار الجديد على فتحة تصريف واسعة لخروج مياه الأمطار . وفي المرحلة الأخيرة من تاريخ التل فقد الطريق الصاعد أهميته كلياً ، حيث تم بناء بيت كبير في الجزء الشمالي من الشارع نفسه .

إن هذا العرض كاف لتزويدنا بمثال تاريخي على تجمع حي سكني ، ففي نهاية هذا التطور أصبحنا أمام تركيب عمراني جديد .

بوجه عام كشفت التنقيبات في الطبقة الحورية الميثانية عن معالم بلدة كثيفة في سكانها وبيوتها ، لكن جدران مبانيها صارت سميكة ، كما أن بيوتها ذات طابع

اعتباري ، فهي أكثر رحابة بالمقارنة مع بيوت عصر البرونز القديم . وتدل الصوامع على وجود فعالية اقتصادية، وعلى نهوض طبقة معينة من الناس تتمتع بمكانة اقتصادية واجتماعية متميزة داخل المجتمع . فيما يتعلق بالبلدة التي نشأت في العصر الآشوري الوسيط فإن جميع معلوماتنا عنها تستند الى الاسطوانات الفخارية التأسيسية المشفوعة بكتابات مسمارية والتي عثرنا عليها في المنحدر الجنوبي ، فهي تتحدث عن بناء سور كبير وعن بناء قصر ملكي لم نعثر له على أي أثر ظاهر . ويبدو أن الموقع في مرحلته التاريخية الأخيرة هذه تمتع بأكبر المباني وأكثرها وفخامة . سأطرق في الموضوع الرابع الى الآثار المنقولة المختلفة التي عثرنا عليها أثناء التنقيبات . لعل من أهم الآثار التي تزودنا بمعلومات وفيرة عن عصر البرونز القديم هي محتويات الغرف من الآثار المنقولة ، فهي تزودنا بفكرة رائعة عن التدبير المنزلي وعن الفعالية الاقتصادية للناس في ذلك الزمان .

تعود الغرف (أ) في بيت من البيوت المكتشفة في القمة الشمالية للتل الى المرحلة الثالثة من عصر السلالات الأولى والى مطلع العصر الأكادي ، أي بين ٢٤٠٠ و ٢٣٠٠ قبل الميلاد . ففي داخل مساحة ٢٢٥ × ٢٢٥ م من الغرفة ظهرت في مكانها الأصلي على الأرضية ٣٢ جرة فخارية كاملة غير منقوصة ، فضلاً عن غطاء جرة من الفخار والعديد من المدقات المصنوعة من حجر البازلت . كانت تلك الآثار المنقولة مغطاة بردميات الجدران والسقف المنهارة . ويبدو ان انهيار البناء كان مفاجئاً وكان الحريق يصاحبه أيضاً . ولهذا السبب لم تتحرك الجرار وغيرها من الأدوات من مكانها الذي كانت عليه في الألف الثالث قبل الميلاد . لقد قمنا بترميم الأواني والجرار المحطمة واعادتها الى مكانها الأصلي في الغرفة ، وكانت هناك صحون الواحد في بطن الآخر ، والبعض منها كان وما يزال يحتفظ ببقايا من المواد الغذائية . وكانت هناك جرة ذات عروتين مثقوبتين لعلها كانت في الأصل معلقة على الجدار أو في السقف ، وذلك لأننا عثرنا عليها في ردميات الجدار الشمالي للغرفة . وفي ضوء توزيع تلك التجهيزات المنزلية داخل الغرفة ووجود قطعة حجرية مستديرة في وسط الغرفة ، نستطيع أن نتصور أحد أفراد العائلة جالساً القرفصاء ومنهمكاً في العمل حول تلك الحجرة ، فعدة العمل مثل المدق وغيره وجدناها على بعد ٧٠ سم من تلك الحجرة ، وهذه هي المسافة لحركة اليدين لعامل جالس أمام منصة العمل . وما من شك إن المدق الحجري كان مستخدماً لجرش أو سحق أو تكسير المواد



الغذائية من حبوب وغيرها ، لاسيما وإنما التقطنا الكثير من بقايا القمح والحنطة حول تلك الحجرة المستديرة ، وكانت تلك الحبوب محفوظة في الحجرة المذكورة آنفاً ، يضاف إلى ذلك أن شكل سنبله كان محزوزاً على الحجرة نفسها ، وشكل السنبله هو الاشارة السومرية لكلمة حنطة .

عثرنا في الغرفة المجاورة للغرفة السابقة على جرار كبيرة الحجم تدل على أن هذه الغرفة كانت بمثابة مستودع للمؤونة ، وذلك بدلالة العثور على بقايا حبوب قمح وحنطة وعلى غطائين لجرتين . ويدل الموقد والصحن الموجود بجانبه في أرضية الغرفة على أن الغرفة كانت مستودعاً ومطبخاً في آن واحد . بناء على ذلك ترتبط هذه الغرفة ارتباطاً وظيفياً وثيقاً مع الغرفة المجاورة لها . كذلك فإن ظهور طبعة لسلة قش في الأرض يدل على أن الفخار لم يكن وحده مستخدماً لحفظ الأشياء .

عثرنا على صحن جبصين جامد ولعل الجبصين كان ما يزال طرياً عندما حدث الدمار والحريق في الدار، ولعله كان قيد التحضير لطلي الجدران أو الأرضية أو لطلي الأواني أو لسد الثقوب أو لاغلاق فتحات الجرار .

كانت البيوت التي كشفنا عنها في الطبقة الثامنة تحتوي على تجهيزات ومعدات منزلية مشابهة . فقد رقمنا الجرار والصحن المحطمة واعدناها الى مواضعها الأصلية في أرضية الغرفة . ففي الغرف الأربعة المتلاصقة بلغ عدد الجرار الفخارية ١٠٧ جرة ، أي ٢٢ الى ٣١ جرة في كل غرفة ، وهذا يعني أن الغرف كانت تعج بالجرار ، وكانت تستخدم لأغراض متعددة ، أما لخزن المؤونة أو للطبخ أو للأكل .

لعل الحجرة الكبيرة كانت مخصصة لحفظ الماء وتبريده، فهي موجودة في زاوية الغرفة وخلف الباب مثلما هي الحال عليه في الكثير من البيوت الريفية في سوريا اليوم . هذا وأن المنجل الذي عثرنا عليه في أرضية إحدى الغرف يفصح عن مهنة صاحب الدار .

كانت الحاجة الى الزينة موجودة لدى هؤلاء الناس الذين كان في مقدورهم تزيين أنفسهم بأطواق من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة . ولعل الزينة المتواضعة كانت من صنع حريم الدار، فخرزات أحد الأطواق مصنوعة من الحجر الكلسي الأبيض ، وثمة خرزات أخرى مصنوعة من الطين على هيئة كرات .

ثمة اكتشاف آخر يزودنا بفكرة عن الجانب الترفيهي في حياة سكان ذلك الزمان ، فمن عظم كتف بقرة صنعوا آلة موسيقية ، فعلى أحد جانبي العظم توجد حزوز غائرة، وعند تمرير شفرة عظمية أو معدنية فوق تلك الحزوز تصدر أصوات إيقاعية مطربة . لقد تم العثور في الشرق القديم على ثلاث قطع من هذا النوع حتى الآن : قطعتان في تل نورصون تبّه في تركيا وهما من الألف الأول قبل الميلاد ، وقطعة في تل الجديدة في سهل العمق بمنطقة انطاكية ، والقطعة الثالثة في طبقة العصر الحجري في تنقيبات جبل بلبنان . أما القطعة التي عثرنا عليها في تل البديري فهي أقدم قطعة من نوعها في سوريا ، إذ أنها تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد .

عثرنا على آثار العصر الآشوري الوسيط جميعها داخل حفرة كبيرة مستطيلة الشكل (٤٥ × ٦ م) في المنحدر الجنوبي للتل، ووصلنا إلى عمق ١١ م من دون أن نصل إلى أرضيتها . كانت الآثار المختلطة في ردميات هذه الحفرة متجانسة، وهي تؤلف إنقاض قصر ملكي . وأبرز أثر وجدناه هو اسطوانات فخارية منقوشة بكتابات مسمارية آشورية . وكانت إحدى الاسطوانات كاملة وغير ناقصة ، وهي بطول ٢٠ سم ومثقوبة في وسطها . وهذه الأسطوانات عبارة عن حجر تأسيسي لقصر ملكي وكانت توضع في داخل الأساسات عند البدء في البناء كما في يومنا هذا .

تتحدث الكتابة في تلك الاسطوانات عن تاريخ المدينة من وجهة نظر الملك الآشوري صاحب الأسطوانة ، فهو يقول أنه وجد المدينة مهجورة ومهدمة ، والأسوار متصدعة ولم يكن أحد يعرف اسم المدينة ، إذ أن النسيان طواها ، أما هو الملك (آشور نفس ليسير) فقد جلب الآلاف من العمال ، وجدد سور المدينة وشيد قصراً واعطى المدينة اسماً ، فسمّاها باسمه ، أي (مدينة آشور نفس ليسير) ، وفي نهاية النص يذكر الملك تاريخ اليوم والشهر والسنة لعمله هذا. ومن المحتمل أن هذا الملك كان معاصراً للملك الآشوري الكبير تيغلات بيلاصر الأول الذي حكم بين ١١١٥ و ١٠٧٧ قبل الميلاد .

تتحدث الكتابات الموجودة على الاسطوانات المحطمة الأخرى عن تأسيس القصر المذكور آنفاً ، وتقول حرفياً: «هذا قصر (آشور نفس ليسير) ملك بلاد «أ» ، وكان في الردميات الكثير من حطام الأواني الفخارية وكتل من جدران اللبن المنهارة ، وجميعها كانت جزءاً من القصر المذكور .

إننا مانزال في حيرة من أمر هذه الحفرة المستطيلة وأسباب امتلائها بدميات القصر الآشوري ، فكونها كانت بئراً ليس وارداً، لأن حجمها أكبر من الحجم المطلوب لبئر ، كما أن حفرها بمثل هذه العناية يجعلنا نستبعد فكرة كونها حفرة للنفايات والأنقاض ، ولعله تم حفر هذه الحفرة خصيصاً لمحي آثار هذا القصر من الوجود كلياً . بيد أنه لا يمكن الوصول الى تفسير دقيق الا بعد الانتهاء من التنقيب في الحفرة نفسها والوصول الى أرضيتها .

وفي الختام نستطيع تلخيص النتائج العامة لتنقيباتنا ورسم معالم التطور التاريخي في هذا الموقع كالتالي :

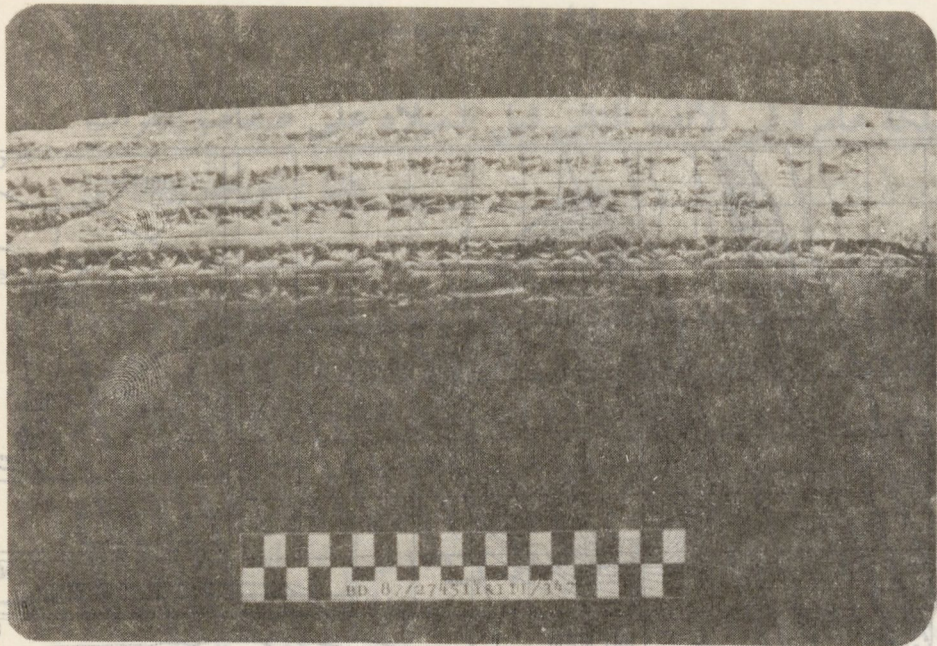
في الألف الثالث قبل الميلاد نشأت مدينة محصنة بسور دفاعي على أنقاض قرية أو بليدة في عصر أوروك (أواخر الألف الرابع) ، وفي البدء كان حجم المدينة الجديد لا يتجاوز حجم البليدة السابقة لها . وكان الأساس الاقتصادي للاثنين هو الزراعة ، لكن وجود البيوت الكبيرة في مدينة الألف الثالث يدل على نشوء طبقة متميزة عن الطبقات الأخرى في المجتمع نفسه ، وفي نهاية الألف الثالث (حوالي ٢٠٠٠ ق.م) تهجر المدينة كلياً وتخلو من أي أنيس طوال خمسمائة سنة ، وفي حوالي ١٥٠٠ ق.م تعود الحياة الى المدينة المهجورة وتنمو من جديد على أساس الزراعة أيضاً . لكن وجود البيوت الكبيرة والفخمة يدل على نشوء تبدلات جديدة في التركيب الاجتماعي (التمايز الطبقي) . وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد تصل المدينة الى ذروتها السياسية ، اذ تصبح مقراً للمملكة محلية . لكن تجدر الإشارة الى أن المدينة في عصر ذروتها لم تتوسع خارج نطاق أسوارها القديمة . ويبدو أن هذا النجم يتفق مع معطيات الطبيعة في حوض الخابور ، فالمواد الطبيعية لا تكفي لتموين المزيد من السكان .

تنتهي حياة هذه المدينة مع نهاية عصر البرونز الحديث ، فمنذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد حتى يومنا هذا لم يعرف الموقع أي أنيس .

إن هذه الاستنتاجات/أنية بالطبع ، وهي تستند الى دراستنا لتفاصيل الشروط الحياتية ونمط المعيشة .

إن العمل الأثري لا يحقق النجاح اذا لم تتوفر له الشروط المناسبة ، ومثل هذه الشروط مثالية في سورية ، واقصد بذلك الدعم الذي نلقاه من جانب المديرية العامة

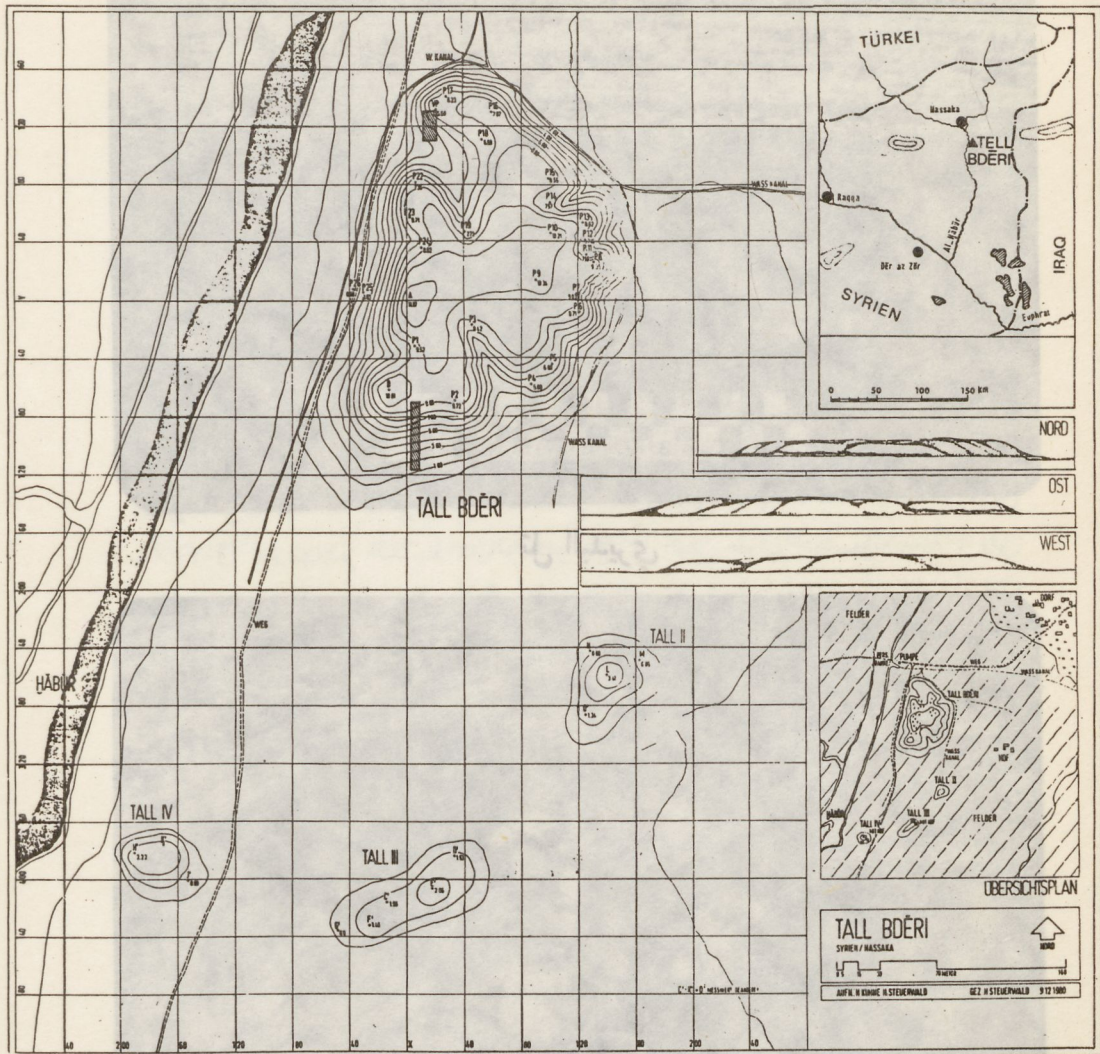




تل البديري



تل البديري



تل البديري

د. ج. ج. ج.